

The Correlation Between Literature and Its Function

Mustafa Majeed Naji ^{*,1}, Khaled Farag Badawi ²

¹ Department of Arabic Language, Al-Maarif University College, Anbar, Iraq

² Department of Arabic Language, Al-Imam Al-Adham University College, Iraq

* mustafa.majeed@uoa.edu.iq

KEYWORDS: Correlation, Literature, Curricula, Impressionism, Structuralism.



Crossref doi

<https://doi.org/10.51345/v33i2.503.g266>

ABSTRACT:

Criticism is considered a motivating factor, whatever its nature. It sheds light on creativity and makes it free of impurities. It analyzes the artwork, sifts its content, evaluates what is good, and extracts what is bad, thus providing arguments and proofs, so it is a positive correlation between criticism and creativity, whether poetry or prose. As criticism in its development through the literary ages was present accompanying the creative process, understanding literary genres, including criticism, generates many key elements that govern the literary text.

التلازم بين الأدب ووظيفته

مصطفى مجيد ناجي*¹، خالد فرج بديوي²¹ قسم اللغة العربية، كلية المعارف الجامعة، الانبار، العراق² قسم اللغة العربية، كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة، العراق* mustafa.majeed@uoa.edu.iq

الكلمات المفتاحية

التلازم، الادب، المناهج، الانطباعية، النبوية.

<https://doi.org/10.51345/v33i2.503.g266>

ملخص البحث:

يعد النقد عاملاً محفزاً كيفما كانت طبيعته، إذ هو يجلي الإبداع، ويجعله خالياً من الشوائب، فهو عملية فنية معاصرة للإبداع، إذ يحلل العمل الفني ويغربل محتواه، ويثمن ما هو جيد، ويستخرج ما هو رديء، مقدماً بذلك الحجاج والبراهين، لذلك فهو تلازم إيجابي بين النقد وبين الإبداع إن كان شعراً أو نثراً؛ لأن النقد بتطوره عبر العصور الأدبية كان موجوداً ومصاحباً للعملية الإبداعية، لذلك فإن فهم الأجناس الأدبية ومنها النقد تولد العديد من الضوابط التي تحكم النص الأدبي، لذا ففهم الأدب ذاته والتبحر به وفهم ما يحيط به، من أهم المتلازمات في الدراسات الحديثة.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان العرب الصرخاء، وأبقاه مناراً لهداية ألسن الفُصحاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الصلحاء، وعلى آله الطاهرين وأصحابه النصحاء، وبعد، فلا تزال موضوعات الأدب تغري بالبحث، على الرغم من كثرة الدراسات التي أتت عليها كلها أو كادت، فإن أثر انتصار العلم في العصر الحديث، أنبهار الحقول المختلفة في المعرفة كافة ومنها الأدب خاصة، على أن هذا الانبهار لم يبحث عن المطابقة البحتة مع العلم، بقدر ما أفاد من النظرية التي تقدم على مجمل من الفرضيات، والإيمان بالعلم يرى أن العلم كان قادراً على حل العديد من المشكلات التي تم الاعتقاد بأنها فلسفية ومستعصية على الحل لعدة سنوات أثناء القرن الماضي.

وهذا اللقاء بالعلم لم يكن وليد العصر الحديث، وإن صار صفة ملازمة لوصف النظريات الأدبية الحديثة ووظيفتها؛ لأن النظرية الأدبية في عصورها المختلفة قد اقترنت بالعلم بدءاً من المنهج التاريخي الذي يعد أطول المناهج عمراً، فهي تجد أن التفكير لا بد له أن يأخذ عناصره الأولى من التجربة والإحساس، وبذا

تكون قد تركت القضايا الميتافيزيقية، وأخذت تهتم بقضايا الحياة والمجتمع وما فيه، إن هذا "التطور الذي طرأ على العلوم الفيزيائية- الكيميائية، والناجم عن الاستخدام الجديد لطريقة تفسير تنطلق من الوقائع إلى قوانينها، وتنبه إلى حتمية تحكم العلم، ويكسب فجأة الآلهة المسماة تفسير ثقة لا حدود لها".

المبحث الاول: التلازم في اللغة والاصطلاح ودلالة التلازم في الادب:

التلازم في اللغة:

تلازم يتلازم، تلازما، فهو متلازم، وتلازم الشخصان/ تلازم الشئان: تَعَلَّقًا تَعَلُّقًا لَا انفكاك فيه، تصاحبا "تلازم الصديقان/ الزوجان- تلازم الكسل والفشل"⁽¹⁾، وتقول العرب: (أغير من الحمى: أي أنها تلازم المحموم ملازمة)⁽²⁾.

التلازم في الاصطلاح:

هو "تلازم الشئين في الوجود بحيث لا يكون أحدهما إلا مع الآخر"⁽³⁾.

دلالة التلازم في الادب:

"دلالة التلازم"، هي دلالة لفظ ما على معنى غير المعنى الذي وضع له، أي أنه معنى خارج إطار مسماه، إلا أنه لازم له في العقل، وهذا اللزوم العقلي ربما مبنيا الى مجرد النظر العقلي دون أي تدخل إن كان عرف أو اصطلاح كقولنا: العالم متغير، فمن خلال هذا القول يثبت حكم العقل التلازم بين تغير العالم وحدوثه، وقد يكون مبنيا على لفظ عام مشهور كلفظة "أسد" فدلالته على الشجاعة، فالعقل يدرك التلازم بين الأسد والشجاعة، وهذا معروف بين الناس من التلازم بينهما، ويكفي دلالة الالتزام أن يحدث التلازم بين الشئين في العقل، كالتلازم الذي بين الإنسان والضحك، إذ يلزم من حضور معنى الإنسان "وهو الحيوان الناطق" في العقل حضور معنى الضحك فيه. وكالتلازم الذي يكون بين الأسد وبين الشجاعة، إذ يكون التصور في معنى الأسد، هو الحيوان المفترس، فهو تصوير لمعنى الشجاعة.⁽⁴⁾

إن التلازم الذي يكون بين المعنى التعريضي والمعنى الحقيقي للألفاظ يعود إلى المواقف الخاصة التي يقال فيها الكلام، أما التلازم بين المعنى المكاني به والمعنى المكاني عنه، فيرجع إلى العادات والتقاليد وطبائع الأشياء وخصوصيات الأفعال كما مر بنا.⁽⁵⁾

المبحث الثاني: طرق ومناهج تلازم الادب لوظيفته:

طرق تلازم الادب لوظيفته

الاسلوب

الأسلوب فهو "طريقة التفكير ومذاهب التعبير أو الصورة الكلامية التي يتمثل فيها تفكير الأديب وتفسيره، والأسلوب لا يقتصر الأديب فقط، بل إن للعالم أسلوبه. ويختلف الأسلوب ما بين الأديب والعالم وبين الأديب والآخر، كما يختلف أسلوب الأديب نفسه بين وقت وآخر باختلاف الموقف الذي يتناوله، وقبل أن يخرج الأسلوب في صورته المكتوبة أو المسموعة يكون في صورة عقلية تمتلئ بها النفوس وتطبع الأذواق، وأسلوب أي كاتب هو نتيجة، أسهمت في تكوين الدراسة، وقراءة الادب والتأمل فيه والتدريب على الكتابة⁽⁶⁾.

عناصر الاسلوب

الافكار: وهي معايير أدبية للنطق بها على عمل الأديب والكاتب.
 العاطفة: هي الحافز إلى الكلام واستحضاره وهي التي تحدد وجهة نظر الكاتب تجاه ما يعرض.
 الخيال: هو القدرة العقلية على تغليب العاطفة ووسيلة تصويرها في ذهن الاديب وبعثها الى المتلقي.
 الإيقاع: هو الحركة أو الصوت التي تكونها الصور الطبيعية من انفعالات العواطف
 اللغة: التكوين اللفظية وبيان ما ينقله من احساس ومشاعر وحقائق.
 والعمل الأدبي هو صوغ عناصر الاسلوب في عمل متكامل، للتوضيح ما يريد الاديب قوله والأسلوب ينقسم إلى: الأسلوب الأدبي (الأسلوب التعبيري-الأسلوب التقريري) والأسلوب العلمي.

الفرق بين الأسلوب العلمي والادبي

تشكل المشاعر والاحاسيس في الأسلوب الأدبي الركيزة الأساسية له، وتكون أهم من الحقيقة والواقع، بينما نجد المعرفة العقلية تشكل الأساس الأول لبناء الأسلوب العلمي⁽⁷⁾.
 القصد الرئيس من الأسلوب الأدبي هو هياج المشاعر في نفوس القراء والمتلقين بعرض حقائق رائعة وجميلة، أما الأسلوب العلمي فالمبتغى الرئيس منه هو تقديم الصواب لأجل التعلم والمعرفة وإضاءة العقول، في الأسلوب الادبي تنماز الجملة بالاصطفاء والتبجيل والمرور على مواطن الجمال، وفي الأسلوب العلمي تنماز كلماته بالبراعة والتحديد والتعمق.

في الأسلوب الادبي تكون الصور الخيالية والصنعة البديعية والكلمات الموسيقية مظهر الانفعال العميق وفي الأسلوب العلمي تكون المصطلحات العلمية والارقام الحسائية والصفات الهندسية مظهر العقل المدقق.

في الأسلوب الأدبي نجد الألفاظ فصيحة قوية جيدة، إذا ولدت عن عاطفة حية وفي الأسلوب العلمي تكون الجمل سهلة ناصعة إذا عبرت عن عقل حليم حصيف. والعمل الأدبي له أصل ومعايير وأسس وطرق، ووهنا نكون قد تحدثنا بشكل مختصر عن الادب ووظيفته ولم نتطرق إلى فروع علم الادب ووظيفته الأخرى.⁽⁸⁾

مناهج تلازم الادب ووظيفته:

عند التحدث عن المناهج الأدبية ووظيفتها التلازمية إنما نتحدث عن نضوج الأدب ووظيفته، بعد مدة طويلة كان فيها بدائياً بسيطاً أو تعقيباً ينأ عن التقدير والتعليل، ليس له سوى الاستجود أو الاستقباح قبل أن يصير هذا الرضا أو عدمه اسس يعلل الادب ووظيفته من خلالها وجهة نظر من الأثر الذي يكفله. وهذا التحليل اعتمد طرق شتى في تقويم الأدب أو تعليله وفق فلسفات واتجاهات فكرية أنتجت الإنسانية خلال سنوات تقدمها وتطورها ومن هنا انبثقت مذاهب وطرق أخذت بعين الاعتبار شكل وظيفة التلازم الادبي، فكان منها:

1- المنهج التاريخي:

إن الأدب ابن وظيفته فهو كالإنسان ابن بيئته يتأثر بها وهي تؤثر فيه؛ ولهذا عزم هذا المنهج إلى معرفة الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب، وبهذا المنهج يذهب الأديب إلى تحليل كثير من الظروف المشكلة في الأثر الأدبي وتفسيرها فينصاع ما لا يجد له تفسيراً في وقته إلى ما يراه جيداً في ماضيه، نستنتج أن هذا الأثر كان نتاج تأثيرات في عصره، وبها يمكن للناقد أن يقوم باستكشاف المخفي والمستتر " فدراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي ضرورة لإدراك الأدب وتحليله"⁽⁹⁾. وكثيراً ما لا يمكن فهم النص الأدبي قبل دراسته دراسة تاريخية عميقة والمؤلفات صدى لما حولها من أمور، ونحن غير معصومين من الخطأ في فهم وتقدير فطنة الأدباء ومخيلتهم، ما لم نلاحظ ارتباطهم بعصورهم وإن كان الأديب نتاج بيئته وعصره، فقد لا يكون متميزاً أو عبقرياً لو تقدم عصره أو تأخر عنه ما دامت عوامل البيئة قد وجهته⁽¹⁰⁾.

إن الأدب يوضح ويفصح عنه من خلال ثلاثة عناصر هي الجنس، والبيئة، والعصر، ويقصد بالجنس السمات التي يتصف بها الأديب وتحفز فيه، والعصر هو الأحداث السياسية والاجتماعية التي تكون صفة غالبية تترك نتيجة كبيرة في أدب الأديب، والبيئة الجغرافية التي عاش فيها الأديب، وتؤثر فيه. وللمنهج التاريخي معنيان: أحدهما عام، وآخر خاص؛ فالمعنى العام فيكون ارتباطه بالفلسفة أكثر منه

بالأدب والأدب ووظيفته، فيذهب إلى علاقة الفرد بالازدهار البشري وإلى الأدب والحركات الأدبية تبعا للتحول الاجتماعي والسياسي والديني. أما الخاص فهو ارتباط الأحداث بزمان؛ ومن هنا جاءت فكرة توزيع الأدب إلى عصور، وتحديد سمات كل أدب من خلال عصره، وعلاقة هذه السمات بالسمة الغالبة في العصر في اتجاهه السياسي الغالب، وهذا المعنى هو المقصود هنا من التاريخي⁽¹¹⁾.

2- المنهج التأثري أو الانطباعي:

جاء في تعريفه: هو "ذلك الأدب ووظيفته الذي لا يهتم فيه الأديب بتحليل الأثر الأدبي، ولا بترجمة حياة مؤلف، ولا بمناقشة قضايا جمالية مجردة وإنما يقدّم في أسلوب جذاب حيث انطباعه هو، وتأثره نفسه بالأثر الأدبي المائل أمامه، وقد اشتهر أناتول فرانس 1844-1924م بالانطباعية في الأدب ووظيفته"⁽¹²⁾.

وشاع الأدب ووظيفته التأثري في نهاية القرن التاسع عشر، كرد فعل على مناهج الأدب ووظيفته السياقية (التاريخي والاجتماعي والعلمي) في أحوال أطارها السياقي فضلا عن ذلك بدت المناهج السياقية، أو ما يبدو أنه أبرز فروعها في أواخر القرن التاسع عشر بدت وكأنها لم تتمكن الوصول؛ وذلك لأنها وضعت مخططات مفصلة للتفسير (المنشئ) الكامل للفن، غير أن هذه المخططات بقيت مجرد مخططات وحسب؛ إذ لم يبد ممكنا شرح الفن أو الفنان على أحدهما فقط ناتج للقوى النفسية والاجتماعية؛ ذلك لأن النابعة الفنية لا يمكن شرحها بالطريقة نفسها التي تشرح بها الجاذبية، وفي نفس الوقت تأثر أولئك الذين ترأسوا الثورة على المناهج السياقية بالنظرية الوجدانية تأثرا قويا، تلك النظرية التي ترى أن الفن انفعال⁽¹³⁾. فالانطباعية تنهض على نعت الانطباعات والأحاسيس التي هي حصيلة قراءة العمل الأدبي، فهي عواطف كامنة في الأديب اتجاه ما قرأه عوضاً من تحليل النص الأدبي استناداً إلى مفاهيم علمية أو إعلان أحكام نقدية بناء على ما تقرره الأسس والأصول؛ ولهذا ربما يكون النص بعيدا كل البعد عن هذه الانطباعات¹⁴.

مما يجدر التنبيه إليه هو أن الانطباعية أُنجبت في عالم الرسم عندما قام الرسام الفرنسي كلودمونييه 1872 على الهافر وفتح نافذة غرفته، فرأى النهر، والأشجار، والطبيعة الخلابة فامتلاّت نفسه بعواطف جياشة سلك به كل مسلك، فراح يخطط ذلك الأثر الذي انعكس فيه فكانت لوحته (الانطباع) مقفرة لا فيها النهر، ولا الأشجار ولا الطبيعة، أو بمعنى تفتقر إلى دافع هذا الانطباع أو الأثر؛ لأن الرسام لم يرسم النهر، ولا الشجر، ولا الطبيعة، وإنما فسر مشاعره وعواطفه التي ولدت فيه تحت تأثيرها، ثم ارتحل ذلك إلى الأدب عن طريق الأخوين كونكور، وبدأ الأدباء يتبعون الانطباع في اللغة دون الركون إلى التفسير العقلية: ((فالأسلوب الانطباعي هو أسلوب فني يضحى بالنحو في سبيل الانطباع ويحذف كل الكلمات التي لا

لون لها وغير ذات تعبير، ولا يبقى إلا الكلمات التي تنتج الإحساسات أما فيما يخص الادب ووظيفته⁽¹⁵⁾.

كانت الانطباعية تنهض على ما يتجنبه الانطباع من عواطف وخلجات في القلب لتكون اصداها؛ فإنه كان من الطبيعي أن تنهض في وجه جميع الاسس الأدبية ووظيفتها، وأن تشكك في صوابها للحكم؛ ولهذا اعترضت أن تكون اسس الادب ووظيفته طريقا لتهديب الفن والأدب والقضاء لهما، فليس في هذه الاسس والفرضيات ما ينفع الأدب ووظيفته أو الأديب كما رفضت أي تحليل للعمل الفني، أو تقييم بإقرار الحكم عليه، وفي هذا يقول أناتول فرانس: ((إن الادب ووظيفته الموضوعية لا وجود له مثلما أن الفن الموضوعي لا وجود له وكل من يخدعون أنفسهم فيعتقدون أنهم يضعون في أعمالهم أي شيء غير شخصياتهم إنما هم واقعون في أشد الأوهام بطلانا فحقيقة الأمر هي أننا لا نستطيع أبدا أن نخرج عن أنفسنا)).⁽¹⁶⁾

وتلك محصلة لا بد منها للذي يستند الأدب ووظيفته الشخصي الخالي من الشوائب، فالأديب الحق في نظر الانطباعيين هو الذي يحكي شجاعته بين الأعمال الفنية الكبرى، وهو يدون تلك الأفكار، والأحوال، والغضب الذي يثيره في العمل الفني، وقد توجه استهجان للانطباعية، كان منها أنها لا تضع حاجزا لما يقوله الأديب، "وأما لا تدخل إلى قعر العمل الفني لتفصح عن فخامته الفنية، كما أنها تجرأ على الخروج عن الموضوع في العمل المنقود".⁽¹⁷⁾

3- المنهج النفسي:

إن المؤرخين يرون أن الأدب ووظيفته النفسي يبدآن في مطلع القرن العشرين مع ولادة علم النفس التحليلي على يد فرويد، وما أشاعه أصحاب يونج في الحديث عن الأسطورة والرمز، وبهذا يكون فرويد، ويونج، وإدلر وراء دراسات عديدة تناولت الأدب، ولاسيما الشعر منه، لكن تأريخ الأدب ووظيفته النفسية ليس بالقرب من ذلك، فهو موغل بالقدم؛ فرى ستانلي هايمن يقرر أن الادب ووظيفته كان أدبا نفسيا برمته، وأن أرسطو يعد الأب الشرعي للنقد النفسي، "ونرى ستانلي يبين ما أقره أرسطو من ارتباط بين الأدب والنفس الإنسانية عندما شاهد مسرحية (المأساة) وظيفة نفسية سماها (التطهير) وقصد به أن مشاهدة المأساة تثير عند المتلقي عاطفتي الشفقة والخوف، ومن ثم يتخلص منهما أو يتطهر، ويحل الاعتدال والاتزان محل الإسراف والحدة في عواطفه وانفعالاته"⁽¹⁸⁾.

لكن هذا الأدب ووظيفته المتلازمان لم يصبحا اتجاهًا واحدًا إلا "بعد أن برزت نتائج دراسات الفرويديين، اللغة والباطن، وكذلك بعد أن أثار أصحاب يونج في الحديث عن الأسطورة والرمز". (19)

ويعد "الاديب الفرنسي سانت بييف من المسببين لطريق المنهج النفسي؛ وذلك لأنه وصل بين حياة الأديب، وطبيعة ذاته، وعمله ومضى إلى أننا إذا تمكنا أن ننتفع بمعرفة بحياة الأديب والمؤثرات الرسمية فيه قدرنا أن نصل إلى إدراك سليم لآثاره الأدبية" (20).

أما "ويلبير سكوت فيرى في محاوره للاتجاه النفسي في نقد عن عرف التسمية، فيجعله الادب ووظيفته المتكاً على التفسير النفساني، ويقر بأنه بدأ بعد ترجمة مؤلف فرويد ((تفسير الأحلام)) سنة 1912م إلى اللغة الانكليزية، ويشير سكوت إلى "شئين عملاً على دعم هذا الاتجاه الأول: ما أفشت عنه الطبيعة من مآخذ وجدها الأديب، والثاني رحابة رقعة الخيال، وانفراط الرمزية والسريالية عن المذهب الرومانسي، فعقدت الحيات المثيرة للانفعال والمفعمة بالأحلام والقائمة على تداعي الأفكار، وازدحام الأعماق أو الأخيصة بالأمطاط العليا، والأشكال الأسطورية المختلفة". (21)

لقد انتهج الفرويديون في بحثهم طريقتين: "أما الأول فهو استعمال العمل الفني حجة نفسية لتدارس ذاتية الفنان وإدراكها، وما فيها من عسر وأسقام، وأما الثاني فهو اتخاذ شخصية الفنان أو نفسيته واسطة، أو آلة لفهم العمل الفني وتفسيره، ومن الواضح أن اللوحة الأولى لا تهم إلا علم النفس، أما اللوحة الثانية فكثيراً ما باتت ذات فائدة في الادب ووظيفته التعليلي، ولا سيما عندما تكون رمزية العمل غير واضحة أو ملتوية، بل إن أجل ما شاركت به الفرويدية قد يكون إبرازها لوفرة المحتويات الرمزية في أعمال متعددة، والمعاني المضمر المستترة التي انطلقت منها، وقد تمكنت الفرويدية من تعبير ذلك من خلال نهج كشفها لأصول هذه الرموز في حاجات الفنان ودوافعه النفسية". (22)

ويمكن الإشارة إلى أن الأدب ووظيفته النفسي قد انتقل انتقالات نوعية على يد شارل مورون الفرنسي، "وهو يركز على أن التعليقات الفرويدية تسندها ركائز التشخيص الطبي الجبرية عليه من الخارج في حين يجد تفسيراً نفسياً أدبياً مبتدئاً من النص، وخاتماً فيه وإليه وإلى الأبد". (23)

4- المنهج الاجتماعي:

يركز هذا النوع من المناهج على "العلاقة المحكمة بين الأثر الأدبي والمجتمع، ويصر هذا المنهج أنه للأدب والفنون الاجتماعية، وعليه فإنه يندفع في تفسيره للآثار الأدبية وتصحيحها من دلالة اجتماعية". (24)

إن أوائل الادب ووظيفته الاجتماعي ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، على يد أدباء فرنسيون كانوا قد هاجروا إلى ألمانيا وانكلترا أمثال مدام ستال التي أصدرت في عام 1800م كتاباً "عن الأدب من حيث علاقاته بالنظم الاجتماعية"، وشاتو بريان الذي أصدر عام 1802م كتاب (عبقريّة المسيحية)، "وبات الاثنان مطالعاً لتجمع من النقاد وضعوا المجتمع أمام أعينهم في أبحاثهم للادب ووظيفته، ثم امتزج الادب ووظيفته المصاحبة له وهذا المنهج باستدعاءات تقويمية، أو ثورية، إذ تكون الاشتراكية من أهم تعلم الادب ووظيفته الاجتماعي" (25)

وما جاء في تعريف الأدب ووظيفته الاجتماعية، يمكن عده من الأجناس الأدبية، فقد أصبح الأديب يعالج عيياً اقتصادياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، وفي بعض الأحيان لا يعالج غير الموضوعات التي تهم الرأي العام، في وقتها الأمر الذي يجعل منه صنفاً من الأدب لا يهم من يعيشون في وقت غير زمنه، وهذا الجنس يستعير قوالب أدبية مشهورة كالشعر، والرواية النثرية، والمقالة النثرية، ولكنه في بعض أوقاته يعول على الصنفين الآخرين، "بيد أن الشعر كان واسطة للمنهج الاجتماعي في القرون الرومانتيكية المتفاوتة بغرب أوروبا، ويمكن أن نعد المدرسة الواقعية، والمدرسة الطبيعية في تاريخ الرواية الفرنسية هيتين بارزتين للمنهج الاجتماعي، كما أن نوع الرواية الخيالية التي تصور بطريقة أو بأخرى فهم المؤلف للمدينة الفاضلة أو للجمهورية المثلى أيضاً من أهم مظاهر هذا الادب ووظيفته". (26)

تنظر الواقعية إلى أن للعناصر الاقتصادية الدور المسؤول في صياغة المجتمع، وأن التراكيب الفوقية، ومنها الفنون والآداب، انعكاس للتراكيب التحتية التي ترتسم في الأحكام الاقتصادية الشائعة في المجتمعات الإنسانية.

ومن هنا يجب رد التطورات التي تنتج سواء ما كان منها جسورة أو شمولية إلى التبدلات الاجتماعية والثقافية التي تتبع المجتمع في فترة تاريخية مقررّة، ويمكن عن مسلك تنفيذ المنهج الاجتماعي فهم نشأة الأحداث الأدبية المتباينة وراقيها وفناؤها "وفيد المنهج الاجتماعي للأدب ووظيفته إذا كان يأخذ الأعمال الأدبية ذات الطابع الاجتماعي، فيشترط الجذور التي ينبعث منها العمل الفني، ويبرر ما ينشئ عليه من معان ودلالات؛ لكن تنفيذ المنهج على عموم الأعمال الفنية يؤدي إلى نتائج سيّدة"، فثمة أعمال فنية لا تسري عليها أقوال التحليل الاجتماعي والاقتصادي". كما أن هذا اللون من الادب ووظيفته تكمن أهميته بأهمية الادب ووظيفته النفسي، لا يصلح لشرح البنية الداخلية للعمل الفني، فالأديب ههنا يتحدث بجمل تاريخية واجتماعية على الأمر الذي يتناوله العمل الفني، والمفاهيم التي يعرب عنها غير أنه عندما يرتحل إلى العناصر الفنية للعمل لا يستطيع أن يتحدث عنها باللغة نفسها (27).

5- المنهج البنيوي :

البنيوية لغة: "البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما" (28).

واصطلاحاً: تطلق على "منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعتها في مجموع منظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة". (29)

وجاء في تعريف البنيوية، أو التركيبية: هي "مذهب من مذاهب منهجية الفلسفة والعلوم مؤداه الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكونة له أما تلك العناصر فلا يعنى بها هذا المذهب إلا من حيث ارتباطها وتأثيرها بعضها ببعض في نظام منطقي مركب، وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللغة عامة". (30)

من الموضوعات علم الأسلوب عند أصحاب، النظرية التركيبية، الوظيفة الشعرية لحبكة، الرسالة الشعرية، وتعليل إيصال المعاني، بوسيلة مفتاح لغوي يمكن عده قانوناً تركيبياً للغة ومسعى لاستعمال علم الإحصاء لاستخراج النظم، أو البنى الأسلوبية للغة بوضعيتها، أو لنص أدبي معلوم فيها، وثمة "دراسة تركيبية شهيرة للشاعر الفرنسي (شارل بودلير) (المسمى القطط) قام بها عالم لغوي هو (رومان ياكوبسنب) الاشتراك مع عالم في السلالات البشرية هو (ليني ستراوس) وقد اكتشفا أن البحث التركيبي اللغوي، والبحث التركيبي الأنثروبولوجي يتشابهان تشابهاً غريباً من حيث الوصول إلى أنماط تركيبية تكاد تكون واحدة في اللغة، وفي الأساطير على حد سواء". (31)

ويعد الأديب (رولان بارت) رائد الفكر التركيبي في الأدب ووظيفته الأدبية، لا سيما في كتابه عن (راسين) 1963م، وكتاب (الكتابة في درجة الصفر). (32)

إن البنيوية هي الصورة، أو الإجمال الكلي الذي تقتزن أجزاؤه بمظهر موضوعي يوضح النسق العقلي في البيئة، وفضل البنيوية بابتكارها وإشراقها إلى العالم السويسري فردينان دي سوسير 1857-1913 أستاذ اللسانيات بجامعة جنيف، إذ كانت في بداية الأمر محاضرات دراسية في علم اللغة يليقها على طلبته، ومات رائدها من غير أن تتكحل عيناه برؤيتها نظرية، فالترم تلاميذه نشر تلك المحاضرات وفاء له، حتى إذا كان عام 1928 هلت البنيوية واضحة تحت أضواء المؤتمر الدولي في لاهاي بهولندا، عندما قدم ثلاثة علماء روس هم ياكوبسون، وكارشفسكي، وتروتسكوي بحثاً مشتركاً أفشوا فيه عن الجذور الأولى للبنيوية، وبعد عام من هذا التاريخ أصدر الثلاثة بياناً في المؤتمر الأول للغويين السلاف المنقعد في براغ استعملوا فيه تعبير بنية بمعناها الشائع في أيامنا هذه وناشدوا بصراحة إلى اتباع المنهج البنيوي في الدراسات اللغوية. (33)

فالأدب ووظيفته البنيوي يهتم باللغة، ولاصلة له بالكاتب أو المجتمع، وأساسه التحليل، وليس التصحيح

فالمظهر الأدبي تجربة تباشر بالنص وتنتهي معه، وكلما توغلنا في القراءة التحليلية تنكشف لنا أبنية العمل الأدبي.⁽³⁴⁾

والأدب ووظيفته البنيوية يرفض فكرة ((المؤلف الأدبي)) لأن هذه الفكرة تعني توحيد النصوص، وذوبانها في شكل واحد؛ لأنه يقتزن بصلة مباشرة بين الإنسان، والعمل الأدبي، ويرفض الأدب ووظيفته البنيوي مفهوم التوثيق الواقعي التي "تفترض أسبقية الموضوع على وجوده الكتابي، وما يترتب على هذه الفكرة من صفات الصدق، والإخلاص، والأمانة التي تنسب عادة إلى الكاتب الجيد وفي الوقت نفسه ينبذ البنيويون مبادئ الإلهام، والخلق الأدبي ورسالة الكاتب، أو العمل الفني إذ يرون أن الإيمان بهذه المبادئ يؤدي في النهاية إلى إلغاء النص والقضاء على وجوده"⁽³⁵⁾.

والادب ووظيفته البنيوية يعد العمل الأدبي "كله مشكلاً من عوامل متباينة متكاملة فيما بينها على قاعدة مستويات متعددة، تسير في كلا الاتجاهين الأفقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل، ويقترح بعض البنيويون ترتيب هذه المستويات على النحو التالي"⁽³⁶⁾.
المستوى الصوتي "حيث تدرس فيه الحروف وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم. المستوى الصرفي وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة"⁽³⁷⁾.

ومستوى القول "لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية، والمستوى الدلالي الذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة التي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمازج وظيفتها على درجات الأدب والشعر"⁽³⁸⁾.

المستوى الرمزي "الذي تقوم فيه المستويات بدور الدال الجديد الذي ينشأ مدلولاً أدبياً جديداً يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللغة داخل اللغة" وللنقاد آراء في المنهج البنيوي، فقد استوقفوا على إيجابياته وسلبياته، فمن إيجابياته أنه يفرض على القارئ ثقافة لغوية تمكنه من فهم النصوص بيد أن هذا فيه جانب سلبي، وهو الحد من انتشار المعرفة مما يخلق نوعاً من (الارستقراطية الأدبية المحدودة) ومن إيجابياته أنه يحول القارئ من متلق استنزافي إلى مشارك بفعالية في فهم النص، وهذا يتطلب منه يقظة عالية في تصور إمكانات النص وتوقع الحلول المختلفة للقضايا الفنية أو التشكيلية المعروضة. ويقول أحد النقاد البنيويين العرب "ليست البنيوية فلسفة لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معانية الوجود، ولأنها كذلك فهي تنوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه، وإبازاته في اللغة لا تغير البنيوية اللغة، وفي المجتمع لا تغير البنيوية المجتمع، وفي الشعر لا تغير البنيوية الشعر لكنها بصرامتها وإصرارها على الاكتناه المتعمق والإدراك متعدد الأبعاد والغوص على المكونات تغير الفكر المعائن للغة والمجتمع، والشعر، وتحوله إلى فكر متسائل

قلق متوثب مكنته متقص فكر جدلي شمولي في رهافة الفكر الخالق، وعلى مستواه من اكتمال التصوير والإبداع".⁽³⁹⁾

الخاتمة:

لقد كان لمنهج الادب العربي ووظيفته موقفه الخاص والمفسر من كل مناهج الادب الحديثة التي امتازت طوابعها في اوربا وسط القرن التاسع عشر.

وهذا التواصل المحتم بين الادب والسياسة والادب والمجتمع جعل الادب ملازماً لها لا يكاد يصور إلاّ موقف هذه السياسة في المجتمع من القوة او الضعف، والرحابة او الضيق، فضلاً عن فصله هذه العصور بعضها عن بعض، بينما الواقع يكذب هذا في مجال الادب خاصة، وذلك حين تتشابك المعاني، والموضوعات، والمذاهب بين العصر وما يليه وما يسبقه "كما يؤدي ربط الادب بسياسة السلطة الحاكمة إلى اهتزاز الاحكام الصادرة بحق الادباء في مواقفهم المتباينة من تلك السلطة في عصورهم، فيعتر الاديب بما اصفته السياسة على بعضهم من هالات التمجيد وما احرزوه في ظلها من الشهرة ويضيع بجانب ذلك حق المبدعين المعارضين الذين عملت ايادي السلطة الحاكمة على اخفاء اصواتهم وانتقاصهم واطهارهم بمظهر معيب، وقد نبه الاديب الانكليزي ماثيو آرنولد على هذا الخطر في منهج الادب ووظيفته التاريخي بقوله: "من الواضح ان دراسة التاريخ ورفي الشعر قد يفضيان بشخص ما إلى ان يعرج عند بعض المؤلفات، وعند بعض ذائعي الصيت الذين باتوا بارزين يوماً ما وأضحوا مغمورين في الوقت الحالي، ومن ثم يعيب هذا الشخص على جمهور يتسم بالإهمال انه يمر مر الكرام على الاسماء والمؤلفات البارزة في شعره القومي.

وفي فهم الاجناس الأدبية وتوليد العديد من الضوابط التي لا تقف عند التمحيص والتبحر في فهم الأدب ذاته وفي فهم دوافعه وما يحيط به من انفعالات "فمن أهم الملحوظات التي بدت على الدراسات الادبية الحديثة لأدبنا العربي في عصوره المختلفة هي ان هذه الدراسات عمدت - كلها تقريباً - إلى تقسيم الادب إلى عصور مختلفة.

المصادر

1. الظاهري، أبو عبد الرحمن ابن عقيل، مبادئ في نظرية الشعر والجمال: (د،ط)، (د،ت).
2. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
3. أحمد لأحمد بدوي، تاريخ الادب ووظيفته عند العرب: نخضة مصر، ط 2، 1960.
4. الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القرقي الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

5. جابر عصفور، مفهوم الشعر - دراسة فيا لثرت النقدي، ط 2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
6. د إحسان عباس، تاريخ الأدب ووظيفته عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 2، عمان، الأردن، 1997.
7. د أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة : عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
8. د بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، ط 5، 1969.
9. د جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف بمصر (د ت)
10. د محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، القاهرة، دار المعارف، (د ت).
11. د محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، ط 1، 1964.
12. د محمد عبد الرحمن شعيب، الادب ووظيفته تاريخاً ونظرياته، دار التأليف، ط 1، (د ت).
13. د. إحسان عباس: شعر الخواص: دار الثقافة، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1974 م.
14. د. عفيف عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً: دار الفكر للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى 1987.
15. صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م.
16. عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، بن عكنون، الجزائر، 1992.
17. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.
18. محمد حسين عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف بمصر، 1981.
19. محمود توفيق محمد سعد، نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف - المنوفية - شيبين الكوم العدد الحالدي والعشرين 1423هـ،
20. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ط 2 دار الأندلس، بيروت، 1981.
21. القرطاجي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب بن خوجة، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
22. د محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار تحضة مصر للطبع والنشر، ط 2، الفجالة - القاهرة، 1972.

الهوامش:

- (1) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م (3/ 2007)
- (2) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين الناشر، دار الهداية (290 / 13).
- (3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت: (ص: 447).
- (4) ينظر: شعر الخواص د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1974 م (ص: 24)
- (5) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت (ص: 279).
- (6) تاريخ الادب ووظيفته عند العرب، أحمد لأحمد بدوي، تحضة مصر، ط 2، 1960، ص: 115
- (7) تاريخ الادب ووظيفته عند العرب، د إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 2، عمان، الأردن، 1997، ص: 584
- (8) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د جابر عصفور، دار المعارف بمصر (د ت) ص: 41
- (9) تاريخ النقد العربي، د محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط 1، 1964، ص: 76
- (10) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ص: 42
- (11) تاريخ النقد العربي، ص: 77
- (12) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تح، محمد الحبيب بن خوجة، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981
- (13) نظرية الإبداع في النقد العربي، عبد القادر هني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص: 23

- (14) نظرية الإبداع في النقد العربي: 23
- (15) المصدر السابق: ص 24
- (16) الادب ووظيفته تاريخاً ونظرياته، د محمد عبد الرحمن شعيب، دار التأليف، ط 1، (د ت)، ص: 124
- (17) الادب ووظيفته تاريخاً ونظرياته: ص 125
- (18) النقد المنهجي عند العرب، د محمد مندور، دار تحفة مصر للطبع والنشر، ط 2، الفجالة - القاهرة، 1972، ص: 357، 358
- (19) المصدر نفسه: ص 359
- (20) النقد المنهجي عند العرب، ص 360
- (21) المصدر نفسه: ص 360
- (22) الصورة والبناء الشعري، محمد حسين عبد الله، دار المعارف بمصر، 1981، ص: 112
- (23) المصدر السابق: ص 113
- (24) دراسات في نقد الأدب العربي، د بدوي طبانة، ط 5، 1969، من 250 - 254
- (25) دراسات في نقد الأدب العربي: ص 255
- (26) ينظر: اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، د محمد عبد المطلب مصطفى، ص: 159، 161، 160
- (27) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م (1/ 489).
- (28) ينظر: نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني، محمود توفيق محمد سعد، مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف - المنوفية - شبين الكوم العدد الحادي والعشرين 1423 هـ (ص: 53).
- (29) مبادئ في نظرية الشعر والجمال، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، (د، ط)، (د، ت) (ص: 307)
- (30) أثر القرآن في تطور النقد العربي، د محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، (د ت)، ص: 172
- (31) مبادئ في نظرية الشعر والجمال (ص: 307)
- (32) ينظر: المصدر نفسه: (ص 308)
- (33) ينظر: المصدر السابق: (ص 309)
- (34) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ط 2 دار الأندلس، بيروت، 1981
- (35) نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م، ص 23.
- (36) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، د عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1987 (ص: 198).
- (37) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً (ص: 205)
- (38) الصورة والبناء الشعري، ص: 54.
- (39) مفهوم الشعر - دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، ط 2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص 220.